برص المحرقة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ.

أمجاد للطباعة والنشر والتوزيع

حارة حريك - بيروت - لبنان - هاتف: ٩٠٦٦٢٠/ ٧٠/ ٠٠٩٦١ + ٤٧٧٠٣٣/ ١/ ٠٠٩٦١

البريد الإلكتروني: amjaad2@hotmail.com

عرفان عقلي

برص المحرقة

محمد عبدالله السعيد

يرتبط البرص بالنار،
في الموروث،
بكونه فاعلها،
كما ترتبط الضفدعة بها،
بكونها مطفئتها.
البرص.. رمز التوطن واللآ توطن،
وله لحسة قاتلة.
كان العبرانيون،
قبل موسى،
يكتبون آثامهم،

ويعلقونها فوق تيس،
يشعلون فيه النار،
ويطلقونه إلى البرية،
كانوا يسمونه تيس المحرقة..

أول

جاء في ملحمة الخلق البابلية،
أن مردوك كبير الآلهة،
بعد أن استتب له الأمر،
وقضى على الظلام،
أخرج القمر،
وأشار إليه بسبابته قائلاً:
أن اطلع أول الشهر بقرنين،

وفي اليوم السابع،
يكتمل نصف تاجك،
وفي منتصف الشهر،
ستغدو بدراً في كبد السماء،
ثم إنك مزاحم للشمس في قاعدة السماء،
بعد ذلك،
حينئذ انقص من ضوئك عقاباً،
وابدأ بإنقاص تاجك.
وعندما تختفي التزم طاعة الشمس تكفيراً عن سوء أدبك،
وسر في درب مُقارب لدربها.
أما في التاسع والعشرين،
فسيكون يوم ابتهاجك،

حين تقف في مقابل الشمس مرة أخرى.
ثم قذفه عالياً..

عفطة

وصل الفندق.

اسمك غير موجود.

حجزك غير موجود.

موظف السفريات.

دفع مرة أخرى.

سجل برص مرة أخرى

يا صبي احمل!

يا صبي تفضل!

ما إن فتح الباب حتى شعر بكراهية عميقة تملأه،

وما إن أشعل النور حتى تحولت هذه الكراهية إلى حقدٍ طافح،

فقد رأى موظف السفريات جالساً على السرير،

لكنه اختفى وهو يهز برجله.

«أنا موجود هنا من يقول في هذه الغرفة،

هنا لغة تتدحرج في النسيان... ... ...»..

قفز رأس موظف السفريات ماطاً برقبته من تحت الحذاء،

صائحاً بفم قبيح:

وها أنا هنا..

لماذا أنت موجود؟

فمد يده داخل فمه،

وأخرج لسانه ثم لفه حول رقبته وصار يشده بها حتى إنكسرت،

ثم خلع الرأس عن البدن،

وقذفه عالياً.

لكن الرأس عاد واستقر فوق البدن،

وعاد البدن،

واستقر فوق السرير،

وعاد موظف السفريات مبتسماً هازاً رجله:

كل شيء مضبوط..

سافر مع السلامة.

واختفى.

«عندما تتدحرج اللغة في النسيان،

يترسب سؤال كشمعة تتبدد في لغة جديدة،

آدم يسمي الأشياء،

وإن كانت شظايا وعلامات.

هو الرحمة الثانية،

إذا كانت الأم هي الرحمة الأولى،

والقبر..

الثالثة.

موجود أنا لماذا؟

ـ ذلك هو السؤال.

أتراه سؤال يوجهه إليك الوجود؟

أي أن الوجود يتكلم من خلالك،

وأنت مجرد إناء يستوعب ما يتم تلقيه من الينبوع،

أم سؤال توجهه أنت للعدم؟

الذي قد يكون وجهاً،

وقد يكون شجرة،

وقد يكون كأساً،

وقد يكون بيتاً،

وقد يكون امرأة،

أو مهنة أو درباً متربا،

أو قصاصة من جريدة متروكة في الشارع،

أو وطناً،

إنطلق!...،

قد يكون رجلاً في سفارةٍ ما،

قد يكون موظفاً في مكتب سفريات.

إلى أين؟

إلى أين؟.

إنك لن تصل أبداً.

وهكذا تغوص في المستنقع مرسلاً أنفاسك مع قوافل الكئابة،

ألزمتها بسرايا الحزن والشماتة المجهولة المصدر،

رافعاً إيّاها إلى هوادج إثم،

ترى أنه الإسم الآخر للأبدية،

أبديتك أنت.

أما إذا كان سؤالاً يوجهه إليك الوجود،

فانصت!..

ماذا تسمع؟

الوجود موجود لتنصت له،

أنصت!..

ماذا تسمع؟

ما إن تنتبه حتى يحتجب،

الإحتجاب هي كلمة الوجود الأولى،

الإحتجاب هو كلام الوجود،

وهو ينطوي على ذاته،

ولما كان الوجود كلاماً،

فالإحتجاب هو كلام الكلام،

أم تراه الكتابة الأولى؟!».

إرتد إلى الوراء فزعاً،

فقد رأى رأس موظف السفريات مقلوباً

ماطاً برقبته إلى السقف.

لماذا أنت موجود؟

كل فلسفتك لا تستطيع أن تحميك!

فهجم عليه،

وأمسك رقبته بكلتا يديه،

وجرّها إلى الأسفل،

فتساقطت عليه الجثث،

حتى دفنته تحتها.

حينئذ حضرت الهامة»(1) في اكتئاب كسول،

---

(1) الهامة أو الصدى: لم تكن الروح في دائرة التصور الوثني الجاهلي، ترحل بعيداً باتجاه العالم الآخر، لأنه ليس في الأصل ثمة عالم آخر، مثل ذلك الذي في الأديان =

وعادت به إلى وطنه.

وهناك صارت سمكة وأجبرته على تقبيلها،

قائلة:

حبك برص..

وصارت ساحلاً وأجبرته على تقبيلها،

= السماوية أو الأديان الوضعية كالفرعونية والزرادشتية واليونانية.

وانما تلازم الروح القبر على شكل هامة أو صدى، وتحوم في ديار الميت لتخبره بما يحدث فيها بعد رحيله.

أي أنها تظل جزءاً من الواقع المادي، تؤثر فيه، وتساهم في صياغة التاريخ داخل الحياة الدنيا.

الثأر: شعار القومية المبكر.

الفكر القومي قد يكون هو الهامة.

قائلة:

حبك برص..

وصارت بشراً وأجبرته على تقبيلها، قائلة:

حبك برص..

وصارت قططا وأجبرته على تقبيلها، قائلة:

حبك برص..

وصارت حاويات قمامة وأجبرته على تقبيلها، قائلة:

حبك برص..

وصارت عواميد إنارة وأجبرته على تقبيلها، قائلة:

حبك برص..

وصارت سيارات وأجبرته على تقبيلها،

قائلة:

حبك برص..

وصارت شرطة فأجبرته على الذهاب إلى مستشفى الأمراض العقلية، قائلة:

حبك برص..

ثم تأملت «الهامة» نفسها في مرآة،

وأمرت القلم الأحمر أن يرسم شفاهاً،

وأمرت الشفاه أن تنطبع على اللا...،

وأمرت اللافتات أن ترفع عالياً،

وأمرت الناس أن يسيروا في مظاهرات،

وأمرت المظاهرات أن تطالب بإطلاق سراح العاشق الأكبر ومعاملته بما يليق به من وطنية،

لكنها أمرت العسكر أن يقمعوها بما يليق بهم من وحشية،

فتحولت المظاهرات إلى ما يليق بها من ثورات،

ملأت أركان البلاد،

وأسفرت عن لقاء تم بين المجلس الأعلى للبراطم والحكومة تحت قبة البرلمان،

وذلك بعد أن توقفت الشركات الأجنبية عن تصدير الهمبرغر والكيت كات تقول ما يليق من سجلات:

بأن الحكومة وافقت على إطلاق سراح العاشق الأكبر مع رد الإعتبار إليه بكم هائل من التعويضات،

وأن المعارضة وافقت على إلقاء السلاح،

وأن الإثنين اتفقا على عقد لقاءات دورية تحت قبة البرلمان،

وفي الختام طالبت المعارضة بتعيين العاشق الأكبر مديراً للمحطات الفضائية،

فطارت الحكومة من الفرحة وطلبت من المعارضة تبادل القبل على أماكن حساسة،

وقيل إن الجماهير ابتهجت لهذا الطلب واعتبر هذا السلوك تطويراً للإيديولوجية البرطمية،

فطالبت بإشاعته كالماء والهواء وفي النهاية ذهب الجميع في وفدٍ عال المستوى لتحرير العاشق الأكبر من مستشفى الأمراض العقلية.

وهناك قابلتهم «الهامة» مرفرفة كعصفورة ندّية حول عشّ فراخها التي التهمها الثعبان،

ومن خلال صياحها فهموا بأن العاشق الأكبر قد تم قتله على يد موظف السفريات،

ويقال إنها اختفت هازة رجلها.

أما الملفات السرية فتقول:

إن الأوامر صدرت للطيران المدني العائد من المصايف بعدم الهبوط في المطارات،

كما صدرت الأوامر للطيران العسكري العائد من الدورات بقصف مكاتب السفريات،

وإلى سلاح الدروع بتسوية المكاتب بالأرض،

وإلى سلاح المغاوير بقتل جميع موظفي

السفريات،

وسحلهم في الشوارع التي أشبعها العاشق الأكبر تقبيلاً وعناقاً.

كما تضيف الملفات السرية جداً،

أن الشركات الأجنبية لتصدير الهمبرغر والكيت كات قد تطوعت لبناء مكاتب أخرى،

وانتداب موظفيها للعمل كموظفي سفريات.

في شركاتٍ شعارها.. البراطم..

المباحث

فجأة تغيروا،

صاروا يجلسون في الديوان حتى يذهب الجميع،

وبمشقّة يحملون أنفسهم ويغادرون هم أيضاً،

يقفون طويلاً أمام باب بيتهم،

ينتظرون أحد العابرين في الشارع،

فينبهونه إلى شق في الرصيف قائلين:

هذا...

هذا...

حتى أهلهم لاحظوا ذلك،

فقد صاروا يطيلون الجلوس معهم على غير عادتهم،

لكنهم صامتون كعادتهم،

أحياناً تخرج منهم كلمة أو اثنتان،

لكنها كلمات يقولونها دفاعاً عن صمتهم،

ليعودوا إليه من جديد.

وأحياناً يتأتئون ويشيرون إلى شق في الجدار قائلين:

هذا...

هذا...

فقط عندما يختلون إلى بعضهم يندفعون في الكلام،

بل يشعرون بالكلمات تسقط قوية على اجسادهم كمطارق حديدية قائلة:

دا...

دا...

فلا يجدون مفراً من إخراجها قائلين:

دا...

دا...

دا...

وغالباً ما يثقل لسانهم،

فتنقبض قلوبهم،

وتتقلص شفاههم،

وتَكفَهِرُ ملامحهم،

ويشعرون بأن هناك رغبة مجهولة تدفع بهم إلى البكاء،

فيبكون بكاء متقطعاً،

يسمعون بعده أجراساً تدق،

فتجتاحهم رغبة عارمة بالرقص،

فيرقصون،

ويدورون حول أنفسهم منشدين:

أنا في الروضة...

يا أصحابي.

كانوا يجدون متعة في رؤية العالم وهو يتحرك والأشياء تتناوب في أماكنها عليه.

وعندما تأخذهم النشوة يضاعفون من

سرعة دورانهم حتى يفقدوا التمييز بين الأشياء والعالم،

فيتشظوا في صرخات يشعرون بعدها بأنهم يضحكون من أعماقهم.

لكن دائما هناك شيء يمنعهم من الإستمرار،

فيقفون فجأة ويسقطون على الأرض وقد خلعوا أقنعتهم،

ويبحلقون في العالم الذي دار حولهم،

وقد عاد يرتدي قناعه من جديد.

وعادة ما يصابون بعد ذلك بالغثيان،

الذي يعصر أمعاءهم، ويمزق صدورهم،

وأثناءه كانوا يتمتمون لأنفسهم:

يجب أن نقول لهم كم نحبه؟

في تلك اللحظة يغادر المكان برص كان يلاحقهم طول الوقت هازاً ذيله.

الصـفـيـر

كان يقوم برحلة في القطار.

توت...

توت صفير

قطار يبتعد..

توت...

توت صفير..

قطار يقترب.

وصل القطار إلى محطة.

توقف الصفير.

بينما كان يتناول حقيبته استعداداً للمغادرة،

دخل المحصل قائلاً:

وأخيراً.

فسأله بلامبالاة:

وأخيراً... ماذا؟

لكنه لم يجب،

فقد انشغل مع بقية الركاب المتحلقين حول امرأة جاءها الطلق قبل ثوان.

بينما كان يسير على الرصيف،

قرر أن يسأل أحد المارة،

أقرب شخص كان امرأة:

لو سمحت...

وأخيراً.. ماذا؟

فقالت:

هنا...

هزت أردافها،

وابتعدت كأفعى يهز عمودها الفقري إيقاع ما.

ثم أفاق على هتافات مدوية:

تعيش أُمنا القحبة.

لم يصدق أذنيه حين سمعها،

لكنه تأكد عندما رأى جموعاً محتشدة تحمل أعلاماً حمراء،

تتقدمهم هي بعجيزتها،

وقد احتفظت بذات التأني والتثني،

وقبل أن تبتعد عنه ألقت عليه وعلى حقيبته نظرة إحتقار.

فتعالت الأناشيد الثورية من الجموع،

واقترب منه رجل يحمل مبخرة فدار حوله متمتماً راجاً برأسه،

ثم وضع يده على كتفه محذراً إياك أن تلحس!

انتبه إلى ثقل الحقيبة في يده ولاحظ أن كل شيء كان رطباً،

فقد كان المطر يسقط طول الوقت،

والناس تركض هنا وهناك ـ يبحثون عن ملجأ،

وكانت الغالبية منهم تتجه صوب مبنى عظيم على الطرف الآخر من المحطة،

فلحق بهم،

وحالما صار في الداخل،

هتف الآخرون:

وأخيراً..

فأجابهم بلهفة:

وأخيراً ماذا؟

لكنهم هجموا عليه،

وأمسكوا بذراعيه وصاروا يكيلون إليه اللكمات على بطنه،

حتى ترنحت ركبتاه،

ثم اقترب أحدهم وشده من شعره إلى

الأعلى،

وصفعه على وجهه صفعات عدة،

وبعد هذا لم يعد يعرف من أين تأتيه الصفعات والركلات حتى فقد وعيه.

كان جسده مثخناً بالجراح،

يئن بالرغم عنه،

وقد وجد في الأنين لذة تخفف عنه الألم.

وصل إلى سمعه عواء ذئب بعيد،

فانفجر باكياً،

ثم أجابته ضحكات أخذت ترتفع سعيدة.

حاول أن يمسح دموعه،

فاكتشف بأن أطرافه العليا مربوطة في ظهره،

إذن هو ملقى على بطنه.

حاول أن يرفع وجهه،

لكن عيونه لم تلتقط شيئاً،

التي التقطت هي أذنه،

أحدهم يمتخط،

سعال من طرف آخر،

صوت تبيّنه فإذا هو لسان ممصوص،

شعرت أمعاؤه بالإضطراب،

راودته رغبةٌ في التقيؤ حتى تملكته،

فانتفض،

وإذا بأشياء تتحرك فوقه سريعاً وتسقط على الأرض.

لقد كانت صراصير.

سمع صريرا.

بابٌ يُفتح.

بَخورٌ يفوحْ.

صوتٌ يعرفُهْ، كان مريحاً:

وأخيراً.

إلتوى لسانه وكأنما هناك من عقده ليشله عن الحركة،

أما قلبه فقد كان يخفق بشدة نتيجة تجربته غير المحمودة مع السؤال.

أخذ صاحب المبخرة يفك قيده،

ثم أجلسه على الأرض.

وما إن لامس بدنه سطح الأرض،

حتى انطلق الملوي شهاباً ثاقباً مؤكداً على كل حرف يقوله:

وأخيراً.. ماذا؟!

وضع صاحب المبخرة، مبخرته جانباً،

وأمسك بيديه اللتين حررهما ثم ضمهما إلى بعضهما وقال هامساً:

قررت الإستخبارات بأن تلحس.

تثاءب،

فدمعت عيناه،

وانفجرت الدموع في مآقيه بألوان الطيف العديدة،

التي صارت في النهاية ضوءاً نهارياً ساطعاً.

تلفت حواليه وإذا به مع قوم قد شبكوا أصابع أيديهم وضموها إلى صدروهم في تشنج عجيب،

بينما كانت عيونهم تبحلق في ذبول ببرص ضخم مسمّر فوق الجدار.

تأمل في وجوههم،

كان يسودها خشوع منقطع النظير.

نظر مرة أخرى إلى البرص،

وجد أن له ذيلاً سميناً يتدلى إلى الأسفل ويرتج بانتظام على إيقاع يسمعه بوضوح قائلاً:

تَتَتك..

تتتك..

تتتك.. كان صوت عجلات القطار الذي يهدئ من سرعته فوق القضبان، بينما ترتج عرباته الإرتجاج الأخير فدخل المحصل قائلاً:

وأخيراً.

وجَدَ نفسه يسأل بقلب قد وعد نفسه بحمام ساخن يزيل عنه الهموم:

وأخيراً... ماذا؟

فرد المحصل بلامبالاة:

وأخيراً..

توقف الصفير..

وهز كتفيه..

كلمة

ذهب يدرس تاريخ بلاده في دولة أجنبية،
أحاطت به الدولة.
ضمته،
عصرته،
وحين خرج من المطار،
كان المطر يسقط،
والسماء رمادية.

الشقراوات،

الحمراوات،

اعتصم بتاريخ بلاده.

سار في الأسواق،

بحث في المكتبات،

لم يجد كتاباً يتحدث عن تاريخ بلاده،

أو ذكر بلاده.

الشقراوات،

الحمراوات،

الطويلات،

القصيرات،

اعتصم بتاريخ بلاده.

أصبح في الجامعات،

بحث عن العلماء،

لم يجد عالماً يعرف بلاده،

أو سمع بذكر بلاده.

أمسى في الخمارات.

هل بلدك في المريخ مثلاً؟!

قال قائل:

مرحباً أنت ضيفنا.

ممكن أن يتصوره كائناً فضائياً يخفي ذيلاً تحت بنطاله،

وهو فعلاً يملك ذيلاً تحت بنطاله.

وهو ذيل يرفض أن يكشفه لأي كان،

لأنه عصعوص من قوم لا يكشفون عن عصاعصهم لمن هب ودب، لما فيها من جدارة

واقتدار يشهد لهما القاصي،

والداني،

واللورد،

والعاهرة...

لكن بإمكانهم أن يتصوروه كائناً فضائياً شبيهاً بالسحلية أنه سحلية متجسدة بغلاف بشري.

بصحتك..

تدررنك..

إح ح.. ح.

لماذا لا تدرسون تاريخنا، فبلادنا أيضاً جميلة.

جذبته وجوه الشقراوات،

والحمراوات،

والطويلات،

والقصيرات،

والممتلئات،

والرشيقات،

ولاحظ بينهن خضراوات.

قفز بفمه على احدى الخضراوات،

وصار يهزها من خناقها:

أنا من بلد...

نختلف عنكم...

هناك نعبد إلهاً آخر.

فتخلصت منه طنت،

وقالت بصوت يشبه قوقأة دجاجة في النزع الأخير:

أعرف بلادك.

فأنا ادرس جغرافيتها.

إرتخى فكه،

فسقط إلى الأسفل،

وغزت سحب البلاهة عينيه،

وعندما أوشك أن يعود إلى روعه،

اكتشف بأن جسده يرتجف،

والعرق يتصبب منه،

وأن ريقه صار جافاً،

وأن أي كلمة يقولها ستصير حشرجة في البلعوم.

امسكت هي بأنفه،

وصارت تخمج الأرنبة،

قائلة بصوت يشبه خوار بقرة أنهت عشاءها:

أنا بنت بلدك..

هيا تزوجني!

ثم رفعت....

وجد نفسه يفر هارباً،

ويسقط على أقدام المارة،

خاف أن تسحقه الأحذية،

فعبر إلى الشوارع المظلمة،

ثم وجد نفسه يهرول في شوارع صغيرة،

بعضها مكتظ،

وبعضها مهجور،

مر بجوار مبانٍ بعضها كبير،

بعضها صغير،

وصل إلى أكواخ،

بعضها حجري،

بعضها خشبي،

صار في أوديَةْ،

بعضها جميل بعضها قبيح،

وصل المقابر،

وهناك أفرغ مثانته في جحر برص محفور في أساس نصب حجري،

مقام فوق قبر أحد المواطنين الصالحين.

إنشق القبر وخرج «صدى» المواطن الصالح،

فأمسك به من قفاه،

ودخل به إلى القبر،

وهناك وجد إدارة كاملة بأقسامها المختلفة وموظفيها الكثيرين،

الذين صاروا يحولونه من غرفة إلى غرفة ومن قسم إلى قسم ومن طابق إلى طابق،

وطَوال الوقت كان الصدى ممسكاً بناصيته،

حتى وصل به إلى الدرك الأسفل،

حيث الأرشيف،

فأخرج الصدى كتاباً من تحت أكداس الكتب المهملة،

ونفض عنه العناكب،

والعث،

والغبار،

ثم أعطاه إياه:

اقرأ!

هذا تاريخ بلدك.

وجد نفسه في سكن الطلبة،

وبالتحديد في غرفته مستلقياً على فراشه،

متدثراً بغطائه،

وقد وضع الكتاب على صدره،

وفتحه أمام وجهه،

وصار يقرأ.

فاكتشف أن هذا الكتاب يتحدث عن حيهم بالتحديد،

وأنه يتحدث عن منزلهم بالتحديد،

وعن كنز مدفون في دارهم بالتحديد،

كما يتحدث عن العوائل التي تعاقبت على السكن فيه،

دون أن يذكر شيئاً عن عائلته.

لكن الكتاب يتحدث عن نبؤةٍ بظهور شخص مَّا دون تحديد،

يخرج الكنز،

ويغير وجه البلاد.

فوجد نفسه قافزاً من السرير،

زاعقاً بأصوات ارتج لها السكن،

فدخل الطلبة القاطنون في المبنى، وطلبوا منه بأدب جم ودماثة منقطعة النظير،

أن يرافقهم إلى السرداب،

حيث تعقد المحكمة الطلائعية،

بحضور ممثلين عن إتحاد الشبيبة الذي قام بالثورة الطلابية في فرنسا،

وأسقط ديغول.

في هذه الأثناء دخلت الخضراء الغرفة،

وسرقت الكتاب.

أما هو فقد وجهت له المحكمة تهمتين،

الأولى تلويث البيئة من خلال إثارة الضوضاء،

وعقوبته الإقامة في العراء،

تحت سنديانة عجوز،

والثانية كانت السخرية من الحيوانات،

وكانت عقوبتها رعاية الغربان المقيمة في السنديان.

ولما كانت الغربان تسقط على الأرض اثناء نومها على الشجرة تسع مرات في الليلة،

فقد كان واجبه هو العود بكل غراب ساقط إلى مكانه فوق الشجرة.

وفي يوم من الأيام جاءه زوار الفجر،

كان وفداً مكوناً من ثلاث نساء خضراوات،

حَقَنَّهُ بالمخدر،

ووَضَعَهُ في التابوت،

وعندما فتح عينيه،

وجدها أمامه تتصفح الكتاب،

فهجم عليها يريد اختطافه،

لكنها ازورّت،

وشيء حديدي صُلب احاط به،
تلفت وإذا بهم حراس.
نظرت إليه،
فاكتشف أن عينيها جميلتان،
وان طبقة سميكة من الملح تنفض عنه،
وتذوب في الهواء،
وشم عطراً،
عندما قالت تزوجني.
ضحك لأنه رأى أن أول شيء خلق فيه هو قلبه،
ووافق،
فأخذه الحراس إلى الخارج،
وإذا قوة خيزرانات عدة ليحترم نفسه على

حد قولها،
ولا يشتغل راعياً للأغربة في بلد أجنبي،
ثم قذفوه إلى الشارع متكوماً حول نفسه،
بذل جهداً شاقاً،
ليحقق رغبته التي بدت عظيمة آنذاك،
في بسط جسده.
وعندما تحقق له ما أراد، هوى شيء ثقيل على خاصرته،
ثم استقر في حضنه،
كان الكتاب.
فأمسك به ووضعه تحت ابطه مؤجلاً استمتاعه بمشاعر العزاء،
و أوشك أن يسلم ساقيه للريح غير مصدق

بالنجاة،

لولا أن التصقت بـه سيـارة تحمـل زائرات الفجر الثلاث،

اللآتي أخذنه معهن،

وانطلقن بأقصى سرعة،

يشاغبن السيارات الأخرى،

خصوصاً تلك التي يتمتع سائقوها ببعض الوسامة.

لاحظ أن الشوارع صارت متسعة،

ترتفع على جوانبها الأشجار،

وأن الورد منتشر على امتداد البصر،

لا يحده إلا العمارات الشاهقة،

التي تحمل كل واحدة منها صورة امرأة،

عندما تبينها كانت هي، لقد وجدت الكنز،

فصارت ملكة،

وغيرت وجه البلاد.

ففتح الكتاب،

فإذا به صفحات بيضاء، فأجل تمزيقها في السيارة خوفاً من حدوث ما لا تحمد عقباه.

كانت السيارة قد وصلت إلى بيتهم،

الذي لم يتغير فيه شيء،

لأنه صار متحفاً شعبياً،

هذا ما قرأه على اليافطة،

توقع أن يستقبله أهله بشوق وحرارة،

لكنهم كانوا يشتغلون تماثيل تعكس صورة الحياة القديمة،

لهذا لم يظهروا أي بادرة إنسانية إلا من وميضٍ باهت في العينين،

واستمروا في أوضاعهم الجامدة.

بحث عن غرفته وإذا بها صارت مستودعاً لإحدى الفرق المسرحية،

أغلق بابها عليه،

وصار يوسع كتابه تمزيقاً،

فصار يندهش لأن قطع الورق،

تصير في يده خرقاً كتانية،

ولام نفسه لأنه ما زال يندهش مما يجري له،

شعر أن هناك من يراقبه،

حانت منه التفاته فإذا به يرى صورته في مرآته القديمة،

فأخرج لها لسانه،

حينئذ خرج الصدى من المرآة،

وفي اكتئاب كسول صار واقفاً أمامه:

ضع إصبعك في فمك..

فوضع إصبعه في فمه.

ـ بلل بنانك بالريق.

فأخرج طرف إصبعه رطباً.

ـ أكتب!

تلفت حواليه باحثاً عن ورق.

ـ أكتب على قطع الكفن التي بيديك.

ثم اختفى.

ابتدأ مشروع صاحبنا في البحث عن بؤرة تتجمع عندها كل الخيوط وتنطلق منها كل

الإتجاهات،

فلم يجد سوى..

ذهب يدرس تاريخ بلاده في دولة أجنبية..

القلم وما يسطرون

حدثنا أبو الحسن السلامي قال، حدثنا ابن يعقوب البسطامي، حدثنا خلف الصوفي، قال سمعت أبا يزيد يقول:

جنني بي فمت،

ثم جنني به فعشت،

ثم جنني عني وعنه فغبت،

ثم اوقفني في رجة الجنون،

وسألني عن أحوالي الثلاث،

فقلت:

الجنون بي فناء.

والجنون بك بقاء.

والجنون عني وعنك ضناء

وأنت في كل الأحوال أولى بنا.

الآخـــر

عن الشمس قالت،

عن القمر قال،

عن النهار قال،

عن الليل قال،

عن السماء،

عن الأرض:

«الـلـه»

إليه نشتاق،

وحالما نصل نكتشف أننا في رحلة الإياب.

فتهبط الأرض،

وترتفع السماء،

ويدخل الليل،

ويخرج النهار،

ويبزغ القمر.

الفهارس

أول ٩

عفطة ١٣

المباحث ٢٩

الصفير ٣٥

كلمة ٤٧

القلم وما يسطرون ٦٧

الآخر ٦٩

الفهارس ٧١